الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

رقم الإيداع في دار الوثائق

العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.dawat.imamhussain.org

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob:+9647827236864 — +9647721458001

دعاءُ أهلِ الثغور للإمام زين العابدين (عليه السلام)
دراسة دلالية

The Prayer of the People of Al-Thaghour by Imam Zain Al-Abidin (peace be upon him) Semantics study

م.م احمد راضي جبر

المديرية العامة للتربية في بابل

Ahmed Radi Gabr

Directorate General of Education in Babylon

الكلمات المفتاحيّة :الإمام السجاد "عليه السلام" / الصحيفة السجادية/ أهل الثغور / الدلالة التركيبية / الدلالة الأمّ

ملخص البحث

درسَ الباحثُ دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) المعروف بدعاء أهل الثغور ، واشتملت هذه الدراسة على مبحثين ، أحدهما : درس الدلالة التركيبية من حيث : دلالة الجملة ، ودلالة التنكير ، . أمّا المبحث الآخر فاشتمل على دلالة حروف المعاني . وسبق هذين المبحثين تمهيد تناول فيه أهمية الدعاء بالنسبة إلى المسلم ، ولما فيه من فوائد جمّة تعود بالنفع عليه في الدنيا والآخرة .

أمّا الغاية التي توخّاها الباحث في هذا البحث هي إبراز أثر الدعاء على الروح الجهادية للمؤمنين ، مستندا إلى أدعية سيد الساجدين الإمام زين العابدين (عليه السلام) ولا سيما دعاء الثغور الذي يعدُّ بحقٍّ أكبر زادٍ يتزّود به المجاهد ، فهذا الدعاء فيه من الطاقة الإيجابية التي تستنهض المقاتلين لحفظ البلاد والعباد من أعداء الله تعالى والإنسانية .

Abstract

The researcher studied the prayer of Imam Al-Sajjat (peace be upon him) known as the people of the stomata. This study included two researches one is the structural significance from the side of the sentence significance and the significance of disguise The other topic included the significance of the letters of meanings. The two precedents discussed the importance of prayer for the Muslim، and because of the many benefits to benefit him in the world and the hereafter.

The aim of the researcher in this research is to highlight the impact of supplication on the jihadist spirit of the believers، based on the prayers of Sayyid al-Sajjideen Imam Zain al-Abidin (peace be upon him)specially this pray that considers the greatest spiritual energy for the Fighters to save the country and the worshipers from the enemies of God and humanity.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، خالق الخلق ورازقهم، فالق الحبِّ والنوى، حمداً يوازي نعمه ، كما يحبّ ويرضى، والصلاة والسلام على سيد الخلق المبعوث رحمة للعالمين ، محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين مصابيح الدجى وسفن النجاة .

أمّا بعدُ

فيعدُّ الدعاء من أقرب الطرق التي يسلكها العبدُ لطلب العون والمدد من المولى جلّ وعلا ، وهذه الغاية تعدُّ أدنى مراتب الدعاء ، فإذا صدرت كلمات الدعاء من القلب ، وتجاوزت اللسان ، أحسَّ العبدُ بلذة لا توصف وهو يخاطب الله تبارك وتعالى ، يسبح في نورانية الحضرة المقدسة ، ولهذا كان ((أولياء الله لا يتلذذون بشيء كالدعاء، فإنهم يكشفون لدى محبوبهم الحقيقي كل طموحات وآمال قلوبهم ويهمّهم الدعاء نفسه، والطلب والاحتياج أكثر ممّا تهمّهم مطالبهم، وتحقيق آمالهم لا يشعرون بالملل والتعب أبدًا في تلك اللحظات)) [١]. فهي لحظات اللقاء بالمعشوق الأزلي .

وقد يورد إشكال وهو إذا كان الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، فما جدوى الكلمات التي يخاطب بها العبد ربَّه عز وجل طالبا منه حوائجه ، ولدفع الضرر عنه ، فيردُّ ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) : ((إن الله تبارك و تعالى ليعلم ما يريد العبد إذا دعاه ، و لكن يحبّ أن يبث إليه الحوائج و إذا دعوت فسمِّ حاجتك و ما من شيء أحبّ إلى الله سبحانه من أن يُسألَ)) [٢] .

وللداعي – بشكل عام – معنيان يبتغي الكشف عنهما ، تختلف تبعا لهما ، الصيغ التي يستعملهما في تركيب الدعاء اللغوي ، فـ((قسم مرجعه المتكلم وآخر مرجعه المخاطب ، والألفاظ الدالّة على المتكلم على محورين: محور إظهار القصور والتقصير والاساءة وارتكاب الذنب، ومحور طلب العفو والصفح والمغفرة والرحمة والرضوان)) [٣] .

من هذا المفهوم جاءت فكرة هذا البحث ، وهي ابراز أثر الدعاء على الروح الجهادية للمؤمنين ، مستنداً إلى أدعية سيد الساجدين الإمام زين العابدين (عليه السلام) ولا سيما دعاء الثغور الذي يعدُّ بحقٍّ أكبر زادٍ يتزوّد به المجاهد ويتدرّع به ليكون خيرَ معينٍ في ساحات النزال.

واقتضت خطة البحث أن تقسم على مبحثين أحدهما : يدرس الدلالة التركيبية من حيث : دلالة الجملة ، ودلالة التنكير ، . أمّا المبحث الآخر فاشتمل على دلالة حروف المعاني . وسبق هذين المبحثين تمهيد ومقدمة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الأطهار .

التمهيد

الدعاء من الأغراض البلاغية التي يخرج لها الأمر و النهي ، والأصل في الدعاء أن يكون : [كالنداء إلاّ أن النداء قد يقال بيا أو أيا ، ونحو ذلك من غير أن يضمّ إليه الاسم ، والدعاء لا يكاد يقال إلاّ إذا كان معه الاسم نحو يا فلان ، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر ، قال تعالى : ((كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاء ونداء)) [٤] ويستعمل استعمال التسمية نحو دعوت ابني زيدا ، أي سميته، قال تعالى: ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)) [٥] ودعوته إذا سألته وإذا استغثته

، قال تعالى : ((قالوا ادعُ لنا ربك))[٦] أي سله[٧] . فإنَّ لهذه الكلمة معاني َ متقاربة فهي تشبه النداء والسؤال ، والسؤال هنا على وجه التضرّع والاستكانة ، لأنه صادر من العبد إلى الرب ، من هذا يتضح أن الأمر إذا كان صادرا من الأدنى إلى الأعلى كان بمعنى الدعاء .

ويعدُّ الدعاء أ فضَل سلاح يتوسّل به العبد إلى الحق تبارك وتعالى للحصول على حاجاته منه ، فهو حصن يتحصّن به من مكاره الدنيا وعقوباتها ، قال الله تعالى : (قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعاؤكم)[٨] . ومعنى هذه الآية المباركة : ((أيُّ عبءٍ يعبأ بكم لولا دعاؤكم ، يعني أنكم لا تستأهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم ، وحقيقة قولهم ما عبأت به : ما اعتددت به من فوادح همومي ومّما يكون عبئاً عليّ ، كما تقول : ما اكترثت له))[٩].

وقد ساوى الله تبارك وتعالى بين الدعاء العبادة ، إذ يقول : (وقَالَ رَبُّكمُ ادْعُوني أَستَجِب لَكمْ إِنَّ الَّذِينَ يَستَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتي سيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[١٠]، إذ يروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية المباركة أنه قال : ((الدعاء هو العبادة التي قال الله عز وجل : (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ادع الله عز وجل ولا تقلْ إن الله قد فرغ منه))[١١] .

ولأهمية الدعاء في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ارتأى الباحث أن يكون ميدان دراسته نصاً مباركاً لإمام مكرَّم أفنى عمره في عبادة الحق جل وعز، حتى لُقِّب بسيد الساجدين ألا هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ، إذ ورثنا عن هذا الإمام المقدس إرثاً مباركا هو الصحيفة السجادية، التي تعدّ بحقٍّ برنامجَ عملٍ للفرد المسلم .

تعدّدت مضامين الأدعية في الصحيفة السجادية[١٢]، ومن هذه الأدعية دعاء أهل الثغور الذي يتضمّن مناجاة الإمام السجاد (عليه السلام) للباري تعالى يسأله أن يحمي بلاد المسلمين من كيد الكافرين ، وأن يؤيّد حماة المسلمين المرابطين على حدودنا بتلك العبارات التي تبعث العزة والحمية في نفوس المجاهدين .

وجاء هذا الدعاء على شكل فقرات ، رصّع هذا الدعاء بأماكن متفرقة منه بالصلاة على النبي وآله مراتٍ متعدّدة ، وزيَّن دعاءه باقتباس معانٍ كثير من الآيات المباركات ، كقوله (عليه السلام) : ((وشرّد بهم من خلفهم ، ونكّل بهم من ورائهم ، واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم)) إذ اقتبس هذا المعنى من الآية المباركة : ((فَإِمّا تَثْقَفَنهُمْ في الْحَرْبِ فَشرِّدْ بِهِم مّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلّهُمْ يَذّكرُونَ))[١٣] . ويتراءى للباحث أن الإمام (عليه السلام) قد اقتبس قوله عز وجل : ((وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا))[١٤] . في قوله (عليه السلام : ((اللهم عقّم أرحام نسائهم ، ويبّس أصلاب رجالهم)) .

وفي قوله (عليه السلام) : ((وامددهم بملائكة من عندك مردفين حتى يكشفوهم إلى منقطع التراب قتلا في أرضك وأسرا)) نجد هذا المعنى تزوَّده من قوله تعالى : ((إِذْ تَستَغِيثُونَ رَبّكُمْ فَاستَجَاب لَكمْ أَنى مُمِدّكُم بِأَلْفٍ مّنَ الْمَلَائكَةِ مُرْدِفِينَ))[١٥] .

إنَّ هذا الدعاء قد قُسِّم على أقسام افتتحه بالصلاة على النبي وآله ، وقد تكرّرت هذه الصلاة كثيرا في الدعاء، والقسم الثاني الدعاء للمجاهدين المرابطين في سوح الجهاد يصدّون أعداء الله والإسلام ويردّون كيدهم في نحورهم . كقوله (عليه السلام) : ((وأنسِهم

عند لقائهم العدو ذكرَ دنياهم الخداعة الغرور ، وامحُ عن قلوبهم خطرات المال الفتون ، واجعل الجنة نصب أعينهم ، ولوّح منها لأبصارهم ما أعددت فيها من مساكن الخلد ، ومنازل الكرامة والحور الحسان والانهار المطردة بأنواع الأشربة والأشجار المتدلّية بصنوف الثمر حتى لا يهمّ أحد منهم بالادبار ، ولا يحدّث نفسه عن قرنه بفرار)) .

والقسم الثالث : يدعو على أعداء الدين المعتدين الذين يتربصّون بالإسلام وأهله الدوائر بأن يضعف قوتهم ويشتّت شملهم وما شابهه ، كقوله (عليه السلام) : ((اللهم افلل بذلك عدوهم ، واقلم عنهم أظفارهم ، وفرّق بينهم وبين أسلحتهم ، واخلع وثائق أفئدتهم، وباعد بينهم وبين أزودتهم وحيّرهم في سبلهم، وضللهم عن وجههم ، واقطع عنهم المدد ، وانقص منهم العدد ، واملا أفئدتهم الرعب ، واقبض أيديهم عن البسط ، واخزم ألسنتهم عن النطق ، وشرّد بهم من خلفهم ، ونكّل بهم من ورائهم ، واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم)) .

والقسم الرابع : يدعو فيه (صلوات الله عليه) لمن كان يزوّد المجاهدين وأعان أهليهم وذويهم بالمال ، أو يمدُّ المجاهدين بالعتاد والسلاح ، فهؤلاء كان لهم نصيب من دعاء الإمام (عليه السلام) . كقوله (عليه السلام) : ((اللهم وأيما مسلم خلف غازيا أو مرابطا في داره ، أو تعهّد خالفيه في غيبته ، أو أعانه بطائفة من ماله ، أو أمدّه بعتاد ، أو شحذه على جهاد، أو أتبعه في وجهه دعوة ، أو رعى له من ورائه حرمة ، فاجر له مثل أجره وزنا بوزن ، ومثلا بمثل، وعوّضه من فعله عوضا حاضرا يتعجّل به نفع ما قدّم وسرور ما أتى به ، إلى أن ينتهي به الوقت إلى ما أجريت له من فضلك ، وأعددت له من كرامتك))

وكان القسم الخامس لمن ضعف عن الجهاد ولم يتمكّن من تجهيز جيوش المسلمين لقصر ذات اليد سهمٌ في دعائه ، ولم يُحرموا من هذه النعم التي سألها (عليه السلام) الله تعالى ، كقوله (عليه السلام): ((اللهم وأيما مسلم أهمّه أمر الاسلام ، وأحزنه تحزّب أهل الشرك عليهم فنوى الغزو ، أو همّ بجهاد فقعد به ضعف ، أو أبطات به فاقة ، أو أخّره عنه حادث ، أو عرض له دون ارادته مانع فاكتب اسمه في العابدين ، وأوجب له ثواب المجاهدين ، واجعله في نظام الشهداء والصالحين)) .

المبحث الأول : الدلالة التركيبية

توطئة

إن معنى التركيب في العربية هو : ضمُّ كلمةٍ إلى أخرى بشرط افادة المعنى [١٦] ، فالكلمة وحدها يتكفّل بمعناها المعجم اللغوي ، وقد يختلف هذا المعنى ويتعدّد بحسب تركيب المفردة مع غيرها في الجملة، فمثلا كلمة (عين) لها معانٍ متعدّدة في المعجم ، لا يتضحُّ المراد منها وحدها ، كي تقرن مع سواها في تركيب فيتضح معناها ، فهناك فرق في دلالة العين في الآيتين الكريمتين : (فيهما عينان تجريان) و (أ لم نجعل له عينين) ، فلو جاءت كلمة (عينان) مستقلّة مفردة لما تبيَّن معناها ، وتحمل آنذاك المعاني التي وُضعت لها كلها ، ولكن لمَّا دخلت في جملة وتعالقت مع غيرها في تركيب ، أفادت معنًى واحداً لا غير ، فالأولى تعني نبع الماء ، والأخرى تفيد العين الباصرة .

وقد حُدَّت الدَّلالة التركيبية بأنها : الدلالة الناشئة من العلاقة بين وحدات التركيب ، أو المستمّدة من

ترتيب وحداته على نحو يوافق القواعد [١٧] ، وأطلق عبد القاهر الجرجاني على هذا الدلالة التركيبية اسم (النظم) ، قال : ((واعلمْ أنْ ليسَ النظم إلاّ أن تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النّحو ، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه ، وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ ، فلا تزيغ عنها وتحفَظ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تُخلَّ بشيءٍ منها)) [١٨] .

وتتجلّى الدلالة التركيبية في الجملة ، سواء أ كانت فعلية أم اسمية ، وقد تكفّل بدراستها علم النحو ، وقد عرَّفها النحويون بأنَّها ((الكلام الذي يحسن السكوتُ عليه)) [١٩] ، وقد ((عُنِي هؤلاء العلماء بدراستها من حيث بنيتها السطحية ، وبنيتها العميقة، فقد حرصوا على أن يبيِّنوا كلَّ ما يتعلق بأساليب الكلام العربي ، وإظهار خصائصه النحوية والبيانية، والاشارة إلى مواطن الحسن والقبح فيه)) [٢٠] .

وعملهم هذا كان عن طريق دراسة العلاقات القائمة بين مفردات التركيب، فمن تحليل النصِّ يُعرَف الفاعلُ من المفعولِ ، والمسندُ من المسندِ إليه ، وختاماً المعنى المقصود من هذا التركيب ، وهي الغاية الأساسية للغة[٢١] ، فإنَّما وُضِعَتِ اللغة لوظيفةٍ معيَّنةٍ ، وقد بيَّن ابنُ جني هذا المعنى بقوله : ((اللغة أصوات يعبِّرُ بها كل قوم عن أغراضِهم)) [٢٢] .

وقد درس الباحث بعضاً من مظاهر الدلالة التركيبية في نص دعاء الثغور للإمام السجاد (عليه السلام)، قسمّتها على مطلبين :

المطلب الأول : دلالة التنكير

لقد عرَّف المعجميون النكرة بتعاريف متعدّدة ، تكاد تكون متقاربة ،يجمعها جامع عام وهو أنها كل ما دلّ على شيءٍ مجهولٍ [٢٣] ، أمَّا النحاة فقد وضعوا حدوداً لها أيضا حالهم بذلك حال المعجميين و تكاد تكون متشابهة كذلك ، فحدَّها ابن السرّاج (٣١٦ هـ) بأنّها ((كلُّ اسمٍ عَمَّ اثنَينِ فصاعداً)) [٢٤] ، وعرّفها الزجاجي بقوله : ((كلُّ اسمٍ شائعٍ في جنسِه ، ولا يخصُّ به واحد دون آخر)) [٢٥] ، و عرّفها الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) بأنها : ((ما وُضِعَ لشيءٍ لا بعينهِ ، كرجلٍ ، وفرسٍ)) [٢٦] .

وقد عرّفها البلاغيون بتعريفات تكاد تكون تعريفات النحاة أنفسهم . قال الجرجاني : ((إن النكرةَ ما عَمَّ شيئين فأكثر، وما أريدَ به واحدٌ من جنس لا بعينه)) [٢٧] . والذي يُفهَم من هذه التعريفات أنَّ النكرةَ تفيد العموم و الشمول ، فلو قلتَ : رأيتُ إنساناً. لدلَّت لفظة (إنسان) على كلِّ شخصٍ يصدق عليه هذا المسمى . وبهذا المعنى ذهب النحويون إلى أن الأصل هو النكرة ، لأنها تفيد العموم ، فإذا أردت أن تخصّص أتيت بالمعرفة . قال سيبويه : ((واعلَمْ أنَّ النكرةَ أخَفُّ عليهم مِنَ المعرفةِ ، وهي أشدُّ تَمَكُّناً ، لأنَّ النكرةَ أوَّلٌ، ثم يَدْخُلُ عليها ما تُعَرَّف به)) [٢٨] .

وتابعه في ذلك المبرِّدُ أيضاً ، قال : ((وأصلُ الأسماء النكرةُ ، وذلك لأنَّ الاسم المنكَّر هو الواقعُ على كلِّ شيءٍ من أمَّتِه ، لا يخُصُّ واحداً من الجنس دون سائره، وذلك نحو: رجل ، وفرس ، وحائط ، وأرض ، وكلُّ ما كان داخلاً بالبِنْيَة في اسم صاحبه فغيرُ مميّزٍ منه ، إذ كان الاسمُ قد جَمَعَهُما)) [٢٩] .

ووردت النكرة في دعاء الثغور للإمام زين العابدين (عليه السلام) في مواضع متعدّدة ، استشف منها الباحث دلالات مختلفة ، ومنها :

١- في قول الإمام السجاد (عليه السلام) : (لا تأذن لسمائهم في قطر ، ولا لأرضهم في نبات) .

جاء هذا القول في معرض دعائه على أعداء الإسلام

، وهو القسم الثاني من قسمي دعاء الثغور ، وتضمن دعاؤه (عليه السلام) على الكفار والمنافقين الذي يكيدون بالإسلام والمسلمين المكائد ، ويتربصّون بهم الدوائر .

وتبرز دلالة التنكير واضحة في المفردتين (قطر ، ونبات) ومن المعلوم أن النكرة تفيد العموم ، فهو (عليه السلام) يطلب من الله تعالى أن يمنعَ عنهم جنس القطر قليلاً كان أو كثيرا ، وهذا المعنى أدَّاهُ تنكير مفردة (قطر) ، فلو جاءت معرفةً لفُهِم منها قطرٌ بعينه ، وهذا المعنى لا يريده المتكلم ، وإنما أراد منع جنس القطر عن الأعداء ، ولذلك جيء بـــ(قطر) نكرةً لا معرفة ، لأن ((المقام اقتضى عموم الدلالة وشموليتها))[٣٠]

ونظير هذا المعنى ما ورد في الدعاء نفسه بقوله (عليه السلام) : (ولا لأرضهم في نبات) . فيستشفّ الباحث من تنكير (نبات) أنها تفيد العموم لا نبات بعينه ، فالإمام (عليه السلام) يسأل الله تعالى ألّا ينبت في أرض الأعداء نباتا مهما كان نوع هذا النبات ، وأن تبقى جرداء خالية .

وممّا جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى قوله تعالى : (إن اللهَ يأمركم أن تذبحوا بقرةً) [٣١] . فقد ذكر المفسرون بهذه الآية المباركة أن موسى (عليه السلام) قد طلب من بني إسرائيل أن يذبحوا (بقرة) وقد وردت (بقرة) نكرة والمعنى الذي أفاده التنكير هنا هو العموم والشمول أي إنهم لو ذبحوا أي بقرة لجاز لهم ، ويعضد هذا المعنى حديث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) : ((والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لوِ اعترضوا بقرةً فذبحوها لأجزأَتْ عنهم ، ولكنْ شدَّدوا فشدّد اللهُ عليهم)) [٣٢] ، ولكن بني إسرائيل – ببغيهم وعنادهم – أخذوا يسألون موسى (عليه السلام) عن هذه البقرة ، فعاقبهم الحق تبارك وتعالى بأن جعل لهذه البقرة أوصافاً غالية الثمن ، فجالوا يبحثون عنها ((واستقصوا في طلبِ الوصفِ ، فلمَّا تعيَّنت ، لم يجدوها بذلك النعت ، إلاّ عندَ إنسانٍ معيَّنٍ، ولم يبِعْها إلا بأضعافِ ثمنِها)) [٣٣].

ويفهم من هذا المقطع من الدعاء الكريم للإمام (عليه السلام) بثُّ روح العزيمة في نفوس المجاهدين والمرابطين، بأن هناك سلاحاً إلهياً يسندهم ، فيتحسّسون بالقوة الإلهية وهي تقاتل أعداء الخالق والخلق تعينهم على مجاهدتهم ، حتى تحقيق النصر المؤزر .

٢- في قول الإمام (عليه السلام) داعيا للمجاهدين: ((اللهم وأيما غاز غزاهم من أهل ملتك أو مجاهد جاهدهم من أتباع سُنتك ليكون دينك الأعلى ، وحزبك الأقوى وحظك الأوفى فلقه اليسر وهيئ له الأمر ، وتولّه بالنجح ، وتخيّر له الأصحاب)) .

فقد وردت النكرة في هذا المقطع من دعائه (عليه السلام) بقوله (غازٍ ، ومجاهد) ، فقد جاءت نكرةً، لأن الإمام لم يخصّص مجاهداً بعينه من دون سواه بهذا الدعاء ، فكل غازٍ يحارب أهل الشرك ممَّن يريدون الشرَّ بأهل الإسلام أن يغمره الله تعالى بعفوه ورحمته ، وأن ييّسرَ أمره ، فالإمام (عليه السلام) يريد أن تعمَّ الرحمة الإلهية المجاهدين جميعهم ، ولهذا جاء بلفظ (غازٍ) نكرة لا معرفة . وهذه الدلالة فيها ما فيها من الدفع المعنوي للمقاتل ، فكل مقاتل منهم يشعر بأنه محطّ عناية الله تعالى ، ولا فرق بين القائد والمقود ، فكلهم سواء بعين الإمام السجاد (عليه السلام) يدعو لهم بوصفهم دروعاً يحمون العباد والبلاد .

٣- في قوله (عليه السلام) طالبا العزة للمجاهدين :

((ولا تعفّر لأحد منهم جبهة دونك)).

فقد وردت النكرة مرتين بهذا النص ، في (أحد ، و جبهة) . وقد يرى الباحث أن دلالة هذه النكرة في الموضعين العموم والشمول . فالإمام زين العابدين (عليه السلام) يسأل الله تعالى ألّا يحنيَ أيَّ مجاهد ويخضع لأي مخلوقٍ ، فهذه الجباه التي سجدت لله لا تنحني لغيره ، هذه من حاجات الإمام صلوات الله عليه يطلبها من الحق جل وعلا . ويقوّي هذا المعنى ما ذكره العلاّمة الطباطبائي في الميزان في معرض تفسيره قوله تعالى: (و ما نرى لكم علينا من فضل)[٣٤] ، فيرى العلاّمة أن مجيء النكرة في سياق النفي دالٌّ على العموم ، قال : ((المراد نفي مطلق ال فضل من متاع دنيوي يختصّون بالتنعم به أو شيء من الأمور الغيبية كعلم الغيب أو التأيد بقوة ملكوتية ، و ذلك لكون النكرة - فضل - واقعة في سياق النفي فتفيد العموم)) [٣٥].

٤- قال الإمام السجاد (عليه السلام) طالبا العون والمدد من الله تعالى لتقوية صفوف المجاهدين : ((وامددهم بملائكة من عندك مردفين حتى يكشفوهم إلى منقطع التراب قتلا في أرضك وأسرا ، أو يقروا بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك)).

إذ وردت (ملائكة) نكرة في هذا المقطع من الدعاء، والذي يراه الباحث في دلالة هذه النكرة الكثرة ، فهو (عليه السلام) يسأل الله تعالى أن يُنزِلَ ملائكة كثيرين يعينونهم في جهادهم وقتالهم ، حتى تتمَّ مهمة المجاهدين بأن يُبعدوا أعداء الله من أرض المسلمين، أو أن يخضعَ هؤلاء المعتدين إلى حوزة الإسلام ويؤمنوا بالله تعالى الواحد الأحد ، وهذا الامداد الإلهي بالملائكة هو من متطلبات النصر الغيبية التي يسند بها الباري عز وجل عباده المخلصين ، في مواقف الرهبة والشدّة ، وقد ورد مثله في مواطن للقتال ، ذكرها التعبير القرآني كقوله تعالى : (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ* بَلَى إِن تَصبرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسوِّمِينَ* مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاّ بُشرَى لَكُمْ وَلِتَطمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصرُ إِلا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الحَكِيمِ) [٣٦].

فهذه الآيات المباركة تتحدث عن حال المؤمنين في معركة بدر الكبرى ، ومن المعلوم أن عدد جيش الإسلام في تلك المعركة كان ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلا ، فأمدّهم الله تبارك وتعالى بخمسة آلاف من الملائكة ، يؤازرونهم ويقوّون شوكة الإسلام .

ونلحظ أن الإمام (عليه السلام) استعمل الفعل (امددهم) بفكّ الإدغام ، مناسبةً للمعنى ، ويدلّ على ذلك أن فكَّ الإدغام في الآية المباركة ورد مع العدد الأكثر (يمددكم بخمسة آلاف) ذلك أن الإمداد المتتابع يقوّي عزيمة المقاتلين ويوهن شوكة الأعداء.

المطلب الثاني : دلالة الجملة

قُسّمت الجملة في العربية من حيث ابتداؤها باسم أو فعل إلى جملة اسمية وجمل فعلية ، والذي يفيدنا في هذا التقسيم في موضوع بحثنا هو دلالة الاسم ، ودلالة الفعل .

فالاسم هو : ((ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وهو ينقسم إلى: اسم عين، وهو الدالّ على معنى يقوم بذاته، كزيد وعمرو، وإلى اسم معنى، وهو ما لا يقوم بذاته، سواء كان معناه وجوديًّا كالعلم أو عدميًّا كالجهل)) [٣٧] .

فهو حدثٌ مجردٌ من الزمن ، فيصلح لكل زمان ،

ولذلك لا تتغيّر صورته بتغيّر الجمل الداخل فيها ، بخلاف الفعل فحدَّه النحويون بأنه : ((ما دلَّ على معنًى وزمانٍ ، وذلك الزمان إمّا ماض وإمّا حاضر وإمّا مستقبل)) [٣٨] . فالفعل حدثٌ مقترنٌ بزمن ، ولذلك تتعدّد صوره تبعاً لزمنه ، فلو قلنا :

كتبَ زيدٌ .

يكتبُ زيدٌ .

لنجد أنَّ صورة الفعل اختلفت بين الماضي والمضارع، لاختلاف زمنه الجملة ، أمّا الاسم (زيد) فبقيت صورته ثابتة ، على الرغم من تغيّر زمن الفعل ، لأن الاسم حدثٌ مجرد من الزمن ، والفعل حدث مقترن بزمن .

وعلى هذا المعنى نجد أن الجملة الفعلية تتسم بالتغيّر والتبدّل ، أمّا الجملة الاسمية فهي ثابتة . ومثال على ذلك قول النبيِّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) في سورة الفاتحة : ((قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، فَنِصْفُهَا لِي ، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ : الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، قَالَ اللَّهُ؛ حَمِدَنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ اللَّهُ : أثنى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : اهدنا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ، قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)) [٣٩] . فالذي كان لله تبارك وتعالى هي (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) ولا يخفى على القارئ أنَّ هذه الألفاظ أسماء كلها ، وتدلّ على ثبوت هذه الصفات للحق عز وجل ، فصفاته سبحانه وتعالى ثابتة له في كل زمان ومكان ، لا تخضع لقواعد الزمن والتغيير ، فإذا ما انتقل إلى القسم الآخر الخاص بالعبد ، تغيّرت الجمل إلى جمل فعلية وهي : ((إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم)) فالعبادة والاستعانة لا تكون أحداثاً ثابتة عند المرء ، وإنّما متغيرة ومتبدّلة تبعاً لهذا العبد من سواه ، ولذلك جاء الخطاب بأسلوب الجملة الفعلية .

وقد جاء أسلوب الخطاب في دعاء أهل الثغور للإمام زين العابدين (عليه السلام) بمجمله بأسلوب الجملة الفعلية ، بوصفه دعاءً ، يسأل الله تبارك وتعالى حاجاتٍ متعدّدة ، لأحوال مختلفة ، فمن الطبيعي أن يستعمل (عليه السلام) الأفعال بدلا من الأسماء .

وجاءت هذه الجمل الفعلية بأساليب متعدّدة منها :

١- النداء وفعل الأمر : وقد افتتح دعاءه (عليه السلام) به ، بقوله : (اللهم صلِّ على محمد وآله) وجاء النداء بقوله : (اللهم) و هذه المفردة هي ((نداءٌ والميمُ ها هنا بدلٌ من يا ، فهي ها هنا فيما زعم الخليل - رحمه الله - آخرَ الكلمة بمنزلة (يا) في أولها، إلاّ أنَّ (الميم)ها هنا في الكلمة كما أنَّ (نون) المسلمين في الكلمة بُنيت عليها. فالميم في هذا الاسم حرفان أولُهما مجزومٌ، والهاء مرتفعةٌ لأنه وقع عليها الإعراب)) [٤٠] . ثم جاء بفعل الأمر وهو (صلِّ) . واستعمل الإمام (عليه السلام) في هذا الدعاء وغيره فعل الأمر إذا أراد أن يُنعمَ عليه الله تعالى بحاجاته، وقد تكرّرت جملة (اللهم صلِّ على محمد وآله) مراتٍ متعددة في هذا الدعاء .

٢- الدعاء بفعل الأمر : الأمر هو ((طلب وقوع الفعل من الفاعل المخاطب بغير لام الأمر مثل : (جئْ و اجتهدْ وتعلمْ))) [٤١] . واحترز بهذا التعريف عن معنى الامر بلام الامر ؛ فهذه اللام تدخل على الفعل المضارع وتفيد معنى الامر ، إلاّ انه ليس بأمر

بالمعنى الاصطلاحي ، وذهب الراغب في المفردات إلى أبعد من ذلك ، إذ قال : ((والأمر التقدم بالشيء سواء كان ذلك بقولهم افعلْ وليفعلْ أو كان بلفظ خبر نحو قوله تعالى: (والمطلقات يتربصّن بأنفسهنّ) [٤٢] . أو كان باشارة أو غير ذلك ، ألا ترى ما سمّى إبراهيم في المنام من ذبح ابنه أمرا ، قال تعالى: (إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبتِ افعل ما تؤمر) فسمّى ما رآه في المنام من تعطي الذبح أمرا)) [٤٣] ، وقد وضع الغلاييني علامة له بـ((أن يدلّ على الطلب بالصيغة ، مع قبوله ياء المؤنثة المخاطبة مثل اجتهدي)) [٤٤] .

وتخرج دلالة الأمر من الالزام إلى الدعاء إذا كان الآمر أدنى رتبة من المأمور .

وجاء الدعاء بأسلوب الأمر بدعاء الإمام (عليه السلام) كثيرا ، وكان على قسمين ، منها كان يدعو للمجاهدين المرابطين بثغور المسلمين يسأل الله تعالى أن يمنَّ عليهم بصنوف الرحمة والنصر والظفر ، فمن ذلك قوله (عليه السلام)) : ((وحصّن ثغور المسلمين بعزتك ، وأيّد حماتها بقوتك ، وأسبغ عطاياهم من جدتك)) .

والآخر: يدعو على أعداء الله والإسلام ، ومن ذلك قوله (عليه السلام) : ((اللهم أخل قلوبهم من الامنة وأبدانهم من القوة ، وأذهل قلوبهم عن الاحتيال وأوهن أركانهم عن منازلة الرجال ، وجبنّهم عن مقارعة الأبطال ، وابعث عليهم جندا من ملائكتك ببأس من بأسك كفعلك يوم بدر ، تقطع به دابرهم وتحصد به شوكتهم ، وتفرّق به عددهم ، اللهم وامزج مياههم بالوباء ، وأطعمتهم بالأدواء ، وارم بلادهم بالخسوف ، وألح عليها بالقذوف)) .

٣- الدعاء بأسلوب النهي : ينعقد النهي بـ(لا) الناهية الداخلة على الفعل المضارع ، وهذا التركيب الطلبي يخرج إلى معنى الدعاء إن كان المنهي أدنى رتبة من المخاطب به ، وقد جاء هذا الأسلوب بدعاء أهل الثغور كثيرا أيضاً ، وكان في معرض دعائه على أعداء الإسلام والمسلمين ، فمن ذلك قوله (عليه السلام) : ((لا تأذن لسمائهم في قطر ، ولا لأرضهم في نبات)) و ((ولا تعفّر لأحد منهم جبهة دونك)).

وقد ختم الإمام (عليه السلام) دعاءه بجملة اسمية واحدة ، عند مدحه الله تعالى بذكر صفاته المقدسة ، وتقديس أسمائه الحسنى ، فقال : ((إنك المنان الحميد المبدئ المعيد الفعال لما تريد))

المبحث الثاني : دلالة حروف المعاني

يعدُّ الحرف القسم الثالث من الكلم ، وعناه سيبويه بقوله : ((وأمَّا ما جاءَ لِمَعْنًى ، وليسَ بِاسْمٍ ، ولا فِعْلٍ، فنحو: ثُمَّ ، وسوفَ ، وواو القسم ، ولام الإضافة، ونحوها)) [٤٥] ، فهو لفظ ليس له معنًى في نفسه ، وإنّما يتضح في غيره [٤٦] .

وكان عمل النحويين فيما يخصّ الحرف على نوعين:

الأول : درسوا هذه الأدوات من حيث عملها ، فقد شملت هذه الدراسات حروف المعاني في تناولها ((قواعدَ النَّحْوِ اجمالاً ، فهي إذاً لا تَنْفصِلُ الأدواتِ عن القواعدِ الأمِّ ، وإنَّما تنظرُ إليها على أنَّها جُزْءٌ وثيقٌ منها ، فكتابُ سيبويه - مثلاً - غنيٌّ بمباحثِ الحروفِ وأشكالِ ورودِها في كلامِ العربِ ، ولكنَّه لم يَعْقِدْ فَصْلاً خاصاً بكلِّ أداةٍ ، لِيُعَدِّدَ معانيها ويذكرَ أحكامَها ، وإنَّما تَتَفَرَّقُ فيه هذه المعاني بين ثنايا الكتابِ ، فهو قدْ يَذْكُرُ الأداةَ ضِمْنَ أُسْرَتِها ، كقوله: (بابُ ما يعملُ من الأفعالِ فيجزمها وذلك : لمْ، ولمّا، واللامُ التي في الأمْرِ))) [٤٧] ، وما عملَه الزَّجَّاجي

في كتابه (اللامات) ، إذ جمع الأحكام النحوية لكل حرفٍ [٤٨] .

والقسم الآخر : دراسات تنظر إلى دلالات هذه الحروف من معانٍ مختلفةٍ، ومن هذه الدراسات ((منازل الحروف للرّماني ... عرض فيه لأهم الأدوات العربية، فذكر المعاني المشهورة لها وضرب مثلاً لكل معنى)) [٤٩].

والذي يهمّنا من هذه الدراسات القسم الثاني ، إذ تعدّدت دلالات النص باختلاف المعنى الذي يؤديه الحرف ، وقد وردت دلالات متعدّدة لحروفٍ مختلفة في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) ، منها :

*** دلالة الحرف (الباء) :**

الباء من الناحية النحوية حرفٌ مختص بالأسماء ، ولهذه العلة تعمل الجر في الاسم [٥٠] ، أمّا من الناحية الدلالية ، فقد تعدّدت دلالات هذا الحرف بحسب السياق ، مع أنها ترجع في الأصل إلى معنًى جامع هو الالصاق [٥١] ، وهو الذي اكتفى به سيبويه ولم يذكر غيره ، وسمّاه (الإلزاق) ، قال : ((وباءُ الجرِّ إنَّما هي للإلزاق والاختلاط ، وذلك قولُكَ : خَرَجْتُ بِزيدٍ ، ودَخَلْتُ بِهِ ، وضربتُه بالسَّوْطِ: ألزقتَ ضَرْبَكَ إيَّاه بالسَّوْطِ ، فما اتَّسَعَ مِنْ هذا في الكلام فهذا أصلُهُ)) [٥٢].

وتابعه في ذلك ابن السّراج ، ومَن جاء بعده ، وجعل المرادي للالصاق معنيين هما : ((حقيقي ، نحو: أمسكت الحبل بيدي ... الثاني: التعدية: وباء التعدية هي القائمة مقام الهمزة ، في ايصال معنى اللازم إلى المفعول به. نحو (ذهب الله بنورهم))) [٥٣] .

وجعل المبرد معنىً آخر مستقلا عن (الالصاق) هو (الاستعانة) ، قال في حروف الجرِّ : ((ومنها الباءُ التي تكون للإلصاق والاستعانة ، فأمّا الالصاق فقولُك : (مررتُ بزيدٍ ، وألممتُ بك) ، وأمّا الاستعانة فقولُك : كتبتُ بالقلم)) [٥٤] .

وقد وجد الباحث دلالات متعدّدة للباء في دعاء الامام السجاد (عليه السلام) ومنها :

١- في قوله (عليه السلام) داعيا لتحصين حصون المسلمين من الأعداء : ((وحصّن ثغور المسلمين بعزتك ، وأيّد حماتها بقوتك)) .

تستشفّ من قول الإمام هذا دلالاتٍ متعددة تبعاً للمعنى الذي يؤديه الباء ، فلو جعلنا دلالة الباء الإلصاق تكون دلالة النص : أن الإمام (عليه السلام) يسأل الله تبارك وتعالى أن يمنَّ علينا بتحصين حدودنا وهذا التحصين مصحوبا بالعزة والمنعة ، وأن يرزق المجاهدين المرابطين في سوح الوغى تأييده ونصره ، وهذا التأييد يأتي مصحوباً بقوة الله تعالى ، هذا المعنى الذي استشفّه الباحث من دلالة الباء الإلصاقية ، أمّا الدلالة الثانية التي تحتملها الباء في الموضعين هذين ، هي الاستعانة ويكون المعنى تبعاً لهذه الدلالة أن تحصين ثغور المسلمين يكون مستعيناً بعزة الله تعالى ، والتأييد الإلهي يتحقق بالاستعانة بقوة الله تبارك وتعالى .

والدلالة التي يراها الباحث أقرب إلى روح النص هي الدلالة الأولى فحماية بلاد المسلمين تأتي مصحوبة بعزة الله تعالى وتأييده ملاصقا لقوّته عز وجل ، هذه الدلالة فيها من الطاقة الإيجابية التي تزيد من عزيمة المقاتلين المجاهدين بأنهم بعين الله يمطرهم بحمايته وقوته وعزته.

*** دلالة حرف (في) :**

(في) حرف مختصّ بالأسماء ، عمله الجرُّ ، وله معانٍ تسعة ، هي الظرفية وهي الأصل فيها ولم يذكر

البصريون سوى هذا المعنى له [٥٥] ، والمصاحبة ، والتعليل ، و المقايسة ، وقد ضمّنوها معاني حروفٍ أخرى مثل (على ، والباء ، و إلى ، و من) وقد تأتي زائدة[٥٦] .

وقد وردت دلالات مختلفة لهذا الحرف في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) تعدّدت دلالة النص بحسب كلِّ دلالة ، منها :

١- في قول الإمام (عليه السلام) : (والطف لهم في المكر) .

فالمعنى الأول الذي يُفهم لـ(في) في هذا النص التعليل ، وهو من المعاني التي أثبتها المرادي لـ(في)، وتكون دلالة النصِّ : أنَّ الإمام (عليه السلام) يسأل الله تبارك وتعالى أن يمنَّ على عباده المجاهدين بلطفه ورحمته كي يكون هذا اللطف درعاً يتدرّعون به من مكر الأعداء الذين نصبوا لهم المكائد ، ويتحيّنون الفرص ليهجموا على بلاد المسلمين الآمنة .

ويعضّد هذا المعنى قوله تعالى : (وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ) [٥٧] ، فكانت هؤلاء النسوة يلمْنَ امرأة العزيز لأنها عشقت فتاها ، فكادت لهنَّ هذه المكيدة ، حتى رأينَ فدهِشنَ من جماله (عليه السلام) فقطعنَ أيديهنَّ ، فقالت لهنَّ : ((عيَّرْتُنّني في الافتتان به حيث رَبَأْتُن بمحلِّي بنسبتي إلى العزيز ، ووضعتُنَّ قدرَه بكونه من المماليك أو بالعنوان الذي وصفْنه به فيما سبق بقولهن : امرأةُ العزيز عشِقت عبدَها الكَنعاني ، الذي صورتُنّ في أنفسكن وقلتنّ فيه وفيَّ ما قلتن ، فالآن قد علمتُنّ من هو وما قولُكن فينا)) فإن لوم هؤلاء النسوة لامرأة العزيز إنّما كان بسبب يوسف أو بسبب حبِّها له [٥٨] .

أمّا الدلالة الأخرى التي تُفهَم من (في) في هذا النص المبارك ، فهي الدلالة الأم لهذا الحرف ، وهي الظرفية ويكون المعنى حينئذٍ : أن الإمام (عليه السلام) يسأل الله تعالى أن يرزق عباده لطفه وتأييده ونصره ، في حال مكر الأعداء لهم ، فهم قد جيَّشوا الجيوش وشوّشوا عقول الناس ، تمهيداً للانقضاض على بلاد الإسلام ، فعاثوا الخراب والدمار في العباد والبلاد ، فالإمام (عليه السلام) يدعو الحق تعالى ان يعين المجاهدين بعونه ولطفه في حال مكر الأعداء بهم . والله أعلم .

ويتراءى للباحث صحة المعنيين (التعليل والظرفية)، ففيهما من المعاني التي تعين المجاهد – لو وعاها – على جهاد أعدائه ، فيعتقد تمام الاعتقاد أنه بعين الله يحميه من مكر الكفار .

*** دلالة الحرف (عن) :**

(عن) حرف جرٍّ ، ولها معانٍ متعددة ، إلاّ أن أصلها المجاوزة ، ولم يثبت البصريون سواه لها [٥٩]، ومثله قولهم : ((رميت عن القوس: لأنه يقذف عنها بالسهم ويبعده. ولكونها للمجاوزة عدّي بها: صدّ، وأعرض، ونحوهما، ورغب، ومال، إذا قصد بهما ترك المتعلق. نحو: رغبت عن اللهو، وملت عنه)) [٦٠] . أمّا المعاني الأخر الفرعية عن هذا الاصل فهي : (البدل ، والاستعلاء ، والاستعانة ، والتعليل، و ضمَّنوها معنى (في) ومعنى الظرف (بعد)) .

وقد ورد هذا الحرف في دعاء الإمام السجاد (عليه السلام) يحتمل اكثر من دلالة يختلف المعنى بحسب كلِّ دلالة ، ومنها

١- في قول الإمام (عليه السلام) : ((اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين ، وخذهم بالنقص عن تنقصهم ، وثبّطهم بالفرقة عن

الاحتشاد عليهم)) .

فالدلالة الأولى التي تُفهَم من (عن) في هذا النص هي المجاوزة ، وعلى هذه الدلالة يكون معنى النص ، إن الإمام (عليه السلام) يسأل الله تبارك وتعالى أن يكون انشغال المشركين بعضهم ببعض وهذا الانشغال يكون مجاوزا المسلمين وبعيداً عن حدودهم ، حتى يأمن المسلمون أذى المشركين واعتداءاتهم .

أمّا الدلالة الأخرى التي يستشفّها الباحث من النص فهي البدلية ، فالإمام (عليه السلام) يدعو الله تعالى أن ينشغل المشركون بأنفسهم كي توهَن قواهم ، بدلا من مهاجمة بلاد المسلمين ، وأن يأخذهم النقص بالأموال والجنود ، بدلا من أن يتسبّبوا في احتلال بلادنا وينهبوا خيراتنا ممّا يتسبّب بنقصالمؤونة للمسلمين ، وأن تصيبهم الفرقة والتشتت بدلا من توحيد صفوفهم وتحشيدها لغزو بلاد الآمنين .

ويسند هذا المعنى قوله تعالى : ((إن الذين كفروا لن تغنيَ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) [٦١]، فالآية المباركة تبيّن حال الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ، فيخبرهم الحق تعالى أنَّ أموالكم التي جمعتموها وأولادكم على كثرتهم لن تكون في العذاب بدلاً عنهم [٦٢] .

٢- في قوله (عليه السلام) : ((اللهم وقوِّ بذلك محال أهل الاسلام ، وحصّن به ديارهم ، وثمّر به أموالهم وفرّغهم عن محاربتهم لعبادتك ، وعن منابذتهم للخلوة بك حتى لا يعبد في بقاع الأرض غيرك)) .

لمَّا فرغ الإمام (عليه السلام) من سؤاله الله تعالى أن يوهن كيد الكافرين ، ويُضعف قوتهم العددية والاقتصادية وغيرها ، يبيِّن (عليه السلام) أنّه إن ضعف المشركون انشغل بعضهم ببعض ، وتقوى بذلك شوكة المسلمين ، وتكون بلادهم درعاً حصينة بوجه الغزاة ، ويسود البلاد والعباد الأمن والطمأنينة والرخاء ، فإذا أمِن المسلمون التجؤوا إلى الحق تبارك وتعالى يعبدونه ، ويناجونه ليل نهار .

وقد ورد الحرف (عن) في هذا النص المبارك للإمام (عليه السلام) احتمل الباحث فيه دلالتين يختلف معنى النص تبعاً لكل دلالة ، وهما :

الدلالة الاولى : المجاوزة ، ويكون المعنى بحسب المجاوزة : أن يتفرّغ المجاهدون إلى عبادة الحق تعالى منصرفين عن قتال المعتدين ، وأن يناجوه عز وجل ، وهم قد تجاوزوا وانصرفوا عن مناوشة الأعداء ومراقبتهم ، فالمشركون لا يؤمَنون بأية لحظة قد يهجمون على البلاد ، ولهذا سأل الإمام (عليه السلام) الله تعالى أن يوهنَ كيدهم ويشغل بعضهم ببعض ويفّرقهم حتى يأمن المسلمون ، وينصرف المجاهدون عن قتال الكافرين إلى عبادة الله ومناجاته .

الدلالة الأخرى : البدلية ، ويكون المعنى هنا : أن الإمام (صلوات الله عليه) يسأل الله تبارك وتعالى أن يُنعم على المجاهدين أنهم بدلاً من قضاء نهارهم وليلهم وهم يدافعون عن بيضة الإسلام ، يحمون الأرض والعرض ، لا يعلمون متى يهجم عليهم الكافرون ، بدلا من حالهم هذا أن يفرّق شمل الكافرين ويوهن قواهم ، و أن يبتليهم بنقص أموالهم وعددهم ، فإذا كان هذا انشغل المجاهدون باللقاء الإلهي ، ومتّعوا أنفسهم بلذة الدعاء والمناجاة مع المعشوق الأزلي سبحانه وتعالى بدلاً من حالتهم الأولى .

ويرى الباحث أنه وإن اختلفت دلالة الحرف (عن) في هذا المقطع من دعاء الإمام ، ففي كلتا الدلالتين معنى يُحفِّز المجاهد على جهاده ، ويذَكِّره بعلة خلقه، فالإنسان إنما خلقه الله تبارك وتعالى لأن يعبده وحده

لا شريك له .

نتائج البحث

بعد هذه السياحة الفكرية والروحية ، وأنا انتقل بين كتاب الله العزيز وبين نفحات الإمام السجاد (عليه السلام) وعنايته الأبوية للمجاهدين والتي تمثّلت في دعاء أهل الثغور ، خرجت هذه الدراسة بثمار ، منها :

• اقتباس الإمام السجاد (عليه السلام) كثيراً من معاني دعائه من القرآن الكريم . وهو أمر طبيعي إذ يعدُّ القرآن المعين الذي يغترف منه أولياء الله .

• اتضح أنَّ هذا الدعاء قد قُسِّم على أقسام افتتحه بالصلاة على النبي وآله ، وقد تكرّرت هذه الصلاة كثيرا في الدعاء ، والقسم الثاني الدعاء للمجاهدين المرابطين في سوح الجهاد يصدّون أعداء الله والإسلام ويردّون كيدهم في نحورهم . والثالث يدعو على أعداء الدين المعتدين الذين يتربصّون بالإسلام وأهله الدوائر بأن يضعف قوتهم ويشتّت شملهم وما شابهه ، والقسم الآخر يدعو فيه (صلوات الله عليه) لمن كان يزوّد المجاهدين وأعان أهليهم وذويهم بالمال ، أو يمدُّ المجاهدين بالعتاد والسلاح ، فهؤلاء كان لهم نصيب من دعاء الإمام (عليه السلام) . وكان لمن ضعف عن الجهاد ولم يتمكّن من تجهيز جيوش المسلمين لقصر ذات اليد سهمٌ في دعائه ، ولم يُحرموا من هذه النعم التي سألها (عليه السلام) اللهَ تعالى .

• استشفّ الباحث دلالات متعدّدة للتنكير في دعاء الإمام (عليه السلام) منها العموم والشمول ولاسيما التي جاءت في سياق النفي ، وأفادت التكثير .

• استعمل الإمام (عليه السلام) في دعائه كلِّه ما خلا الجملة الأخيرة منه ، أسلوب الجملة الفعلية ، لما تتسم فيه من تغيّر مستمر يتناسب وحالة المدعو له أو المدعو عليه ، في حين نراه استعمل الجملة الاسمية حينما ذكر صفات الحق سبحانه وتعالى وأسماءه فهي صفات ثابتة لا متغيرة فذكرها بما يناسبها وهي الجملة الاسمية .

• في دلالة الحروف ، وجد الباحث أنَّ هناك حروف المعاني احتملت أكثر من دلالة ، تغيّر المعنى بحسب كلِّ دلالة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين

الهوامش

١- الدعاء ، مرتضى مطهري ٧ .
٢- الدعوات ، قطب الدين الراوندي ٥ .
٣- البنى الأسلوبية في دعاء كميل ، د. احمد عبيس المعموري ، بحث منشور في مجلة دواة ، العدد الخاص ببحوث دار اللغة والأدب العربي الدولي الثاني ، ٢٠١٧ م – ١٤٣٨هـ ، ١١٢ .
٤- سورة البقرة ، من الآية ١٧١ .
٥- سورة النور من الآية ٦٣ .
٦- سورة البقرة ، من الآية ٦٨ .
٧- مفردات ألفاظ القران ١٩٠ .
٨- سورة الفرقان ، من الآية ٧٧ .
٩- الكشاف ٤٨٩/٤ .
١٠- سورة فاطر ، الآية ٦٠ .
١١- نور الثقلين ٨٦/٤ .
١٢- ينظر : الصحيفة السجادية الكاملة من أدعية الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) ، منشورات العتبة العلوية المقدسة ، تقديم السيد محمد باقر الصدر .
١٣- سورة الأنفال ، الآية ٥٨ .
١٤- سورة نوح ، الآية ٢٥ .
١٥- سورة الأنفال ، الآية ٩ .
١٦- ينظر : الأصول في النحو ٢ / ١١١ ، واللباب في علل الإعراب ١ / ٥٠٥ .
١٧- ينظر: أثر الوقف على الدلالة التركيبية ٦٧-٦٨ .
١٨- دلائل الإعجاز ٧٧ .
١٩- شرح ابن عقيل ١ / ١٤ .
٢٠- الدلالة النحوية في شرح نهج البلاغة لميثم بن علي البحراني ٧٢ .
٢١- ينظر : المصدر نفسه ٣٥ .
٢٢- الخصائص ٣٣/١ .
٢٣- ينظر : الصحاح (نكر) ، و القاموس المحيط (نكر) .
٢٤- الأصول في النحو ١ / ١٧٥.
٢٥- الجمل في النحو ١٧٨ .
٢٦- التعريفات ٢٤٢ .
٢٧- أسرار البلاغة ٩٥ .
٢٨- كتاب سيبويه ٢٢/١.
٢٩- المقتضب ٤ / ٢٧٦ .
٣٠- البنى الأسلوبية في دعاء كميل ١١٦ .
٣١- سورة البقرة ، من الآية ٦٧ .
٣٢- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ٣٣٥ .

٣٣- مفاتح الغيب ١٢٢/٣ .
٣٤- سورة هود ، من الآية ٢٨ .
٣٥- الميزان في تفسير القرآن ١٠ / ١٠٦ .
٣٦- سورة آل عمران الآيات : ١٤ ــ ١٦ .
٣٧- التعريفات ٦ .
٣٨- الأصول في النحو ٣٨/١ .
٣٩- صحيح مسلم ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة برقم (٣٩٥) ١ / ٢٩٦ .
٤٠- الكتاب ١٣٢/١ .
٤١- جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، ٢٧/١ .
٤٢- سورة البقرة ، من الآية ٢٢٨ .
٤٣- مفردات ألفاظ القران الكريم ٣٢ .
٤٤- المصدر نفسه ٢٧/١
٤٥- كتاب سيبويه ١٢/١ .
٤٦- ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٦/١ .
٤٧- رصف المباني (مقدمة المحقق) ١٣ .
٤٨- ينظر : كتاب اللامات ٣١ ، و اللامات : الهروي (مقدمة المحقق) ٢٠ .
٤٩- اللامات : الهروي (مقدمة المحقق) ٢٠ .
٥٠- ينظر : الجنى الداني ٣٦ .
٥١- ينظر : المقتضب ١٧٧/١ ، وحروف المعاني (الزجاجي) ٤٧ ، والصاحبي في فقه اللغة ١٣٨ .
٥٢- كتاب سيبويه ٢١٧/٤ .
٥٣- الجنى الداني ٣٦ ، وينظر : الأصول في النحو ١ / ٤١٢- ٤١٣ ، والمفصل ٢٩٠ ، وشرح المقدمة الجزولية الكبير ٢ / ٨٢٨ ، وارتشاف الضرب ٤ / ١٩ .
٥٤- المقتضب ١ / ٣٩ .
٥٥- ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٤١/٢ .
٥٦- ينظر : المصدر نفسه ٤٢/٢ .
٥٧- سورة يوسف ، من الآية ٣١ ــ ٣٢ .
٥٨- ينظر : مغني اللبيب ١٦٨/١.
٥٩- ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ٣٣/٢.
٦٠- المصدر نفسه ٣٣/٢ .
٦١- سورة آل عمران ، من الآية ١٠ .
٦٢- ينظر : الوجيز ١ / ٣٨٤ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أثر الوقف على الدلالة التركيبية : د. محمد حبلص ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ١٩٩٣ م .

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان النحوي (أثير الدين محمد بن يوسف ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق د. رجب عثمان محمد ، ومراجعة د. رمضان عبد التواب ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٨م .

٣- أسرار البلاغة : الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن ت ٤٧١ هـ) ، تحقيق هـ . رتير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩م .

٤- الأصول في النحو: ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل ت ٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣، ١٩٩٦ م .

٥- البنى الأسلوبية في دعاء كميل ، د. احمد عبيس المعموري ، بحث منشور في مجلة دواة ، العدد الخاص ببحوث دار اللغة والأدب العربي الدولي الثاني ، ٢٠١٧ م – ١٤٣٨هـ

٦- التبيان في تفسير القرآن : الطوسي ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإعلام الإسلامي ، طبعة قم ، ١٤٠٩ هـ .

٧- تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب : ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الغني بن حميد بن محمود الكبيسي دار حراء ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٦هـ.

٨- التعريفات : الجرجاني (علي بن محمد بن علي ت٨١٦هـ) ، تحقيق : إبراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .

٩- جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط ٢٨ ، ١٩٩٣م .

١٠- الجمل في النحو : الزجاجي ، تحقيق د. علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٤، ١٩٨٨م .

١١- الجنى الداني في حروف المعاني : المرادي (الحسن بن قاسم ت ٧٤٩ هـ) ، تحقيق د. فخر الدين قباوة و الأستاذ محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م .

١٢- حروف المعاني : الزجّاجي ، حققه وقدم له د. علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢، ١٩٨٦م .

١٣- الخصائص : ابن جني (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٥٢م .

١٤- الدعاء : مُرتضَى مُطهري ، قم المقدسة ، دار الزهراء (ع) ، ط٢ ، ١٤٣٠ ه .

١٥- الدعوات : الراوندي (قطب الدين سعيد بن هبة الله ت ٥٧٣هـ) ، تحقيق عبد اللطيف الكوهكمري ، عنيت بطبعة مكتبة المرعشي ، قم ، ١٤٠٦هـ .

١٦- الدلالة النحوية في شرح نهج البلاغة لميثم بن علي البحراني ، احمد راضي جبر ، رسالة ماجستير ، جامعة بابل ، ٢٠١٣ م . (غير منشورة).

١٧- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلَّق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥، ٢٠٠٤ م .

١٨- رصف المباني في شرح حروف المعاني : المالقي (أحمد بن عبد النور ت ٧٠٢هـ) ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٥م .

١٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت٧٦٩هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط ٢٠، ١٩٨٠م .

٢٠- شرح المقدمة الجزولية الكبير : الشلوبين ،

تحقيق د. تركي بن سهو بن نزال العتيبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢، ١٩٩٤م .
٢١- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق الشيخ أحمد صقر ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
٢٢- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد ت في حدود ٤٠٠هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٦٧م .
٢٣- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج (أبو الحسين القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت) .
٢٤- الصحيفة السجادية الكاملة من أدعية الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) ، منشورات العتبة العلوية المقدسة ، تقديم السيد محمد باقر الصدر .
٢٥- القاموس المحيط : الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ) ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٥٢ م .
٢٦- كتاب سيبويه : سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣، ١٩٨٨م .
٢٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٧م .
٢٨- اللامات : الزجاجي ، تحقيق : د. مازن المبارك، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢، ١٩٨٥ م .
٢٩- اللامات : الهروي (أبو الحسن علي بن محمد ت ٤١٥هـ) ، تحقيق يحيى علوان البلداوي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٠م .
٣٠- اللباب في علل الإعراب : أبو البقاء العكبري ، تحقيق غازي مختار طليمات و د.عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥م .
٣١- معجم مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن الم فضَل ت ٥٠٣ه) تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
٣٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق د. عبد اللطيف محمد الخطيب ، الكويت ، (د.ت) .
٣٣- مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي (محمد بن عمر بن الحسن ت ٦٠٦هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١م .
٣٤- المفصل في صنعة الإعراب ، الزمخشري ، تحقيق د . علي بو ملحم ، مكتبة الهلال – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .
٣٥- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية : الشاطبي (إبراهيم بن موسى ت ٧٩٠ هـ) ، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
٣٦- المقتضب : المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة ، ط ٣، ١٩٩٤ م
٣٧- الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي(ت ١٤٠٢ هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧ .
٣٨- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي أبو الحسن ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، نشر دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٥ه .